مجلة سوسيولوجيون ISSN: 2716-9170

المجلد: الأول العدد: 01 السنة: 2020

استعراض الذات في مواقع التواصل الاجتماعي والتمثلات السوسيوثقافية لبناء الهوية الافتراضية

Self-exposure on social media and sociocultural representations to build a virtual identity

نزيهة مصباح السعداوي

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس؛ جامعة تونس

neziha.mesbah@yahoo.com

ملخص:

يهدف هذا العمل إلى طرح إشكالية بناء الذات على مواقع التواصل الاجتماعي ومختلف أشكال التفاعل، كما يتطرق إلى أهمية المقاربة المنهجية "اثنوجرافية الواب" المعتمدة في دراسة وفهم مختلف أشكال التفاعل على الفضاء الافتراضي وكيفية عرض الذات، وفي هذا السياق يتطرق هذا العمل الى مسالتين هامتين وهما؛ تحليل مفاهيمي للفضاء الافتراضي كمجال للتفاعلات ولعرض الذات، وفي مستوى ثاني يتم عرض أهم النتائج المستخلصة من الدراسة الميدانية لأشكال الممارسات على فضاء التواصل الافتراضي فايسبوك.

الكلمات المفتاحية: التفاعل الافتراضي، استعراض الذات، الشبكات الاجتماعية، الفضاء الافتراضي، أثنوجرافيا الواب.

Abstract:

This article provides a reflection on the way of self-exposure on social networks and the different forms of interactions in virtual space.

This research also shows the importance of the ethnographic approach as a qualitative method serves to understand and analyse interactions on social networks.

Two aspects will be discussed during this work; a first part focuses on a conceptual analysis of the virtual space, and demonstrates the importance of online ethnography in understanding the practices of virtual interactions.

The second part aims to analyze the different forms of self-exposure during interactions, using the technique of participant observation to understand the relationship between the real self and the virtual self.

Keywords: virtual space, self-exposure, social web interaction, web – ethnographies,

مقدمة:

يعتبر الفضاء الافتراضي في مجتمعات ما بعد الحداثة المناخ الأفضل لعملية التفاعل اليومي بين الأفراد والمجتمعات بحكم ما يتميز به هذا الفضاء من خاصيات المرونة والانفتاح والتنوع وآنية التفاعل.

فتواجد الفاعل الاجتماعي بصفة يومية في المنصات الإلكترونية والشبكات الاجتماعية بشكل هائل ودائم يدل على أهمية الفضاء الافتراضي الذي أصبح يعتبر مسرح التفاعلات، تحـــاك فيه الأدوار بمختلف أشكـالها وأبطـالها وفق المقــاربة النظريــة لعالــم الاجتمـــاع *E. Goffman* الذي أشار إلى طريقة التفاعل وأهم طقوسها بين الأفراد التي تفرض على الفاعل الاجتماعي تقمص أدوار مختلفة باختلاف الوضع الذي يتواجد به. (**Goffman, 1973, P.23**).

هنا تتأكد أهمية الفضاء كمجال لإثراء ثقافة التفاعل والتواصل ويسمح باستعراض قدرات الفاعل الاجتماعي في تكوين رأس مال اجتماعي.

فقد ساعد تطور تكنولوجيات الاتصال من تدعيم تواجد الفرد في هذا الفضاء بمخلف أشكاله سواء ان كانت منصات الكترونية أو شبكات التواصل الاجتماعي او مواقع بتعدد أشكالها، اذ تشير أخر الإحصائيات(**2018**) إلى أهمية ذلك حيث بلغ عدد مستعملي شبكة الفايسبوك حول العالم **2200** مليون مستخدم ويحتل بذلك المرتبة الأولى تليه شبكة اليوتيوب وتأتي في المرتبة الثالثة شبكة الانستغرام، اما على المستوى المحلي فقد بلغ عدد مستخدمي الفايسبوك قرابة **8 مليون** مستخدم يليه الإنستغرام بـ **1.6200** مستخدم ثم لينكنlinkingبـ **880** مستخدم) وتبلغ نسبة مستخدمي شبكة الفايسبوك من الرجال **57**% ومن النساء **43**% تتمركز أغلبيتها في الفئة العمرية **13- 24 سنة**[1]

من ضمن هذه المواقع سجلت شبكة التواصل الفايسبوك أكثر المواقع استعمالا، وهو المنصة الالكترونية التي تستهوي العديد من المستخدمين بفضل ما توفره من خيارات وتطبيقات تسهل عملية عرض الذات، إذ أصبح يمثل الفضاء الافتراضي بامتياز لعملية التفاعل استعراض الذات وبناء هوية افتراضية تخضع لإرادة المستخدم ووفق معطيات واختيارات تساعد على اثرائها لمختلف التطبيقات التي توفرها شبكة التواصل الاجتماعي والتي تعمل يوميا على تحسينها وتنويعها لتكون تحت رغبة المستخدم .

سنحاول في هذا العمل الإجابة عن جملة من الأسئلة المحورية التي تخص كيفية استعراض الذات في فضاء شبكة التواصل الاجتماعي فايسبوك في علاقة ببناء الهوية الافتراضية ومختلف أشكال التواصل والتفاعل في هذا الفضاء.

- أهم الإشكاليات التي تطرحها هذه الورقات:

الإشكالية الرئيسية:

هل المستخدم على وعي تام بان كل ما يقوم بتدوينه أو نشره على شبكات التواصل الاجتماعيبإمكانه أن يترك بصمة مسجلة على هده المواقع يمكن استعمالها أو بيعها من طرف أي جهة دون علمه؟ كما يمكن إفشاء معلومات خاصة به لأي طرف دون استشارة صاحب الحساب؟ ما الذي يجعل البعض يسعى إلى نشر كل المعلومات التي تخص حياتهم الشخصية وفسح المجال لأي كان للنفاد إليها بنما يبحث البعض الأخر عن التخفي قدر المستطاع أن لزم الأمر تقمص هوية زائفة؟

الأسئلة الفرعية:

1. ما هي اهم ملامح استعراض الذات في موقع التواصل الاجتماعي (فايسبوك)؟
2. هل هنالك تداخل بين العالم الذاتي الخاص والفضاء العام الخارجي المنفتح والمجهول الحدود؟
3. كيف تدار عملية التفاعل على الفضاء الافتراضي؟ هل يبحث الفاعل عن اعترافا لآخرين؟
4. ماهي المقومات الأساسية لاستعراض الذات ؟ هل أن غياب الحضور الجسدي للأشخاص في عملية التفاعل له تأثير على عملية عرض الذات؟
5. هل أن الهوية الافتراضية هي حصيلة المعاني التي يرسمها الفرد عن نفسه ؟كيف يتمثل ذاته في عملية بناء الهوية؟
6. كيف هو البعد العلائقي بين الهوية الواقعية والهوية الافتراضية؟ هل هي علاقة انقطاع أم امتداد؟هل هي هوية ثابتة أم متحولة؟ فردية أم جماعية؟
7. هل يمكن اعتبار الفضاء الافتراضي بديلا يعبر عن هروب وتملص الفرد من اكراهات المجتمع؟
8. ما مد وعي المستخدم بقيمة المعطيات التي يدونها في فضاء التواصل الاجتماعي؟

الفرضـيات:

1. يتميز الفضاء الافتراضي بخاصيات تمكن من إثراء وتشكيل الهوية وفق إرادة المستخدم وطموحاته التي لا يوفرها الواقع
2. ان عدم الحضور الفزيائي للأشخاص في عملية التفاعل تزيد من حرية التعبير عن الذات بعيدا عن اكراهات الواقع.

3. يفضل بعض مستخدمي الفضاء الافتراضي استعمال هويات زائفة لانعدام الثقة بشبكات التواصل الاجتماعي
4. استعمال الأسماء المستعارة في شبكة التواصل فيسبوك يعكس خلفية ثقافية معينة
5. عدم الإفصاح عن المعطيات الشخصية في بناء الهوية الافتراضية دليل على وعي المستخدم بأهمية الحياة الشخصية
6. هنالك مراوحة بين الرغبة في استعراض الذات وإخفاء الحياة الشخصية
7. ينسلخ الفرد عن هويته الشخصية الواقعية تماما عند عملية التفاعل في الفضاء الافتراضي ويندمج اندماجا كليا في الفضاء الافتراضي ليدلي بآرائه واتجاهاته بكل تجرد عن الروابط والضوابط الاجتماعية ويتحرر من أي مرجعية ثقافية او دينية او اجتماعية...

أهداف الدراسة :

1. معرفة مدى وعي المستخدم بأهمية البعد العلائقي بين الهوية الواقعية والهوية الافتراضية
2. معرفة الرهانات المطروحة على الفاعلين في الشبكات الاجتماعية في عملية استعراض الذات أثناء عملية التواصل والتفاعل مع الآخرين .
3. الشارة إلى أهمية المنهج الاثنوجرافي(Web ethnographie) لتحليل ووصف طريقة التفاعل في الفضاء الافتراضي وعلى شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك بالتحديد.
4. معرفة مدى إمكانية الحديث عن إعادة تشكيل المعايير الثقافية التي تحدد الخصوصية الذاتية في السياق الشبكي الثقافي المتطور.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة الراهنة في تسليط الضوء على أهمية الفضاء الافتراضي كفضاء التفاعلات بين الأفراد والمجموعات وكبيئة لاستعراض الذات ومختلف أشكال تواجدها في هذا الفضاء. كما تمكن أهمية الدراسة في أنها تحمل أبعادا مختلفة؛ ثقافية، سيكولوجية واجتماعية لأنها تبحث في عنصر محوري ألا وهو الذات بكل ما تحمله من معاني. كما تأتي أهمية هذه الدراسة في اعتماد المنهج الاتنوغرافي الرقمي كطريقة منهجية نوعية في دراسة ظواهر المجتمع الشبكي.

المقاربة المنهجية:

يفرض موضوع تمثل الذات في شبكات التواصل الاجتماعي؛ دراسة تحليلية واب اثنوجرافية، إن نتوخى طريقة منهجية تعتمد على التحليل الوصفي وهي طريقة كيفية تعتمد أدوات الملاحظة بالمشاركة وتحليل المحتوى.

2.1 الفضاء الافتراضي ودمقرطة الفعل التواصلي

يعتبر الفضاء بالمعنى الشاسع للكلمة حقل ممتد لكل الممارسات التواصلية بين الافراد والمجموعات لذلك اعتبر محور اهتمام عديد الباحثين في مجالات مختلفة خاصة منها التي اهتمت بالقضايا الاتصالية وتطورها عبر الزمن وكانت في ملتقى عديد الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية. عندما تثار مسالة الفضاء الاتصالي فإننا نشير مباشرة إلى احد ابرز المفكرين الذين تناولوا هذا المفهوم بالدرس والتحليل **جورجن هابرماس** الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني الذي ينتمي للمدرسة فركفورت النقدية، ويعتبر الفضاء العمومي من المواضيع الأولى التي تتطرق إليها **هابرماس** الذي يعتبره حقل التواصل تشكل فيه الآراء والمواقف وهو كذلك المكان يبنى فيه الرأي العام(Habermas,1987,p123.)

منذ بداية القرن التاسع تشكل الفضاء العام كحقل لتبادل الآراء والنظريات وكان موضوع النظريات النقدية، فهو مجال النقاشات ويعتبر حلقة نقاش القضايا السياسية والشأن العام ومنه تتكرس الديمقراطية، ويرى **هابرماس** ان الفضاء العمومي هو عبارة عن دائرة وسطية تمونت تارخيا في عصر الانوار بين المجتمع المدني والدولة وهو مجال متاح لجميع المواطنين حيث يتجمهر الناس للتعبير عن آرائهم. لذلك يرى **هابرماس** أنه لابد من نطاق هذا الفضاء من اجل دمقرطة الفعل التواصلي ومزيد إثراء المعارف من خلال تبادل الآراء.

قد شهد الفضاء العمومي تطورا مشهودا مع تطور وسائل الاعلام المرئية والمسموعة ومع انبلاج الثورة الرقمية الهائلة التي غيرت من عديد المفاهيم والقيم الاتصالية، أصبح إذا فضاء التفاعلات في عصر ما بعد الحداثة وظهور التقنيات الحديثة في الاتصال والتواصل فضاء يتسم بالانفتاح والانسياب يغلب عليه التنوع والتعدد... فضاء يحفظ حق الجميع في التواصل وتدعيم التعددية الثقافية والدينية والاختلاف ويضمن الاختلاف في التفكير والرؤى دون حدود او رقابة وبالتالي تكريس ديمقراطية التفاعل ضمن فضاء منفتح شاسع لا مجال فيه للإقصاء او التهميش مقارنة بالفضاء التقليدي الذي سيطرت الأنساق السياسية والثقافية والاقتصادية.

2.2 **الفضاء الافتراضي agora رقمية:**

يمثل الفضاء الرقمي المنبثق مع انبلاج الثورة الرقمية مجالا للتعبير وإبداء الرأي والنقاش الحر، فهو الساحة العمومية بمنطق **هبرماس.** ان النفاذ الحر الى الفضاء الرقمي يشجع على التعبير والنقاش المتحرر من الهيمنة الاجتماعية والسياسية والضوابط الأخلاقية.

هبرماس هو أول المفكرين الذي استعمل مفهوم الفضاء العمومي في أطروحته التي نشرت سنة 1960بين **هبرماس** أن الفضاء العمومي يحمل دلالة جدلية حركية في معناه الإجمالي) (**Habermas,2006, p122** يصف اصطلاح الفضاء العمومي ذلك الفضاء الاجتماعي الذي يعرف تبادلات عقلانية ونقدية بين الذوات الفردية والجماعية التي تسعى الى بلوغ حالة التوافق حول القضايا التي تتصل بالممارسة الديمقراطية.

من ركائز هذا الفضاء النقاش والحجاج العقلي حيث تنبني النظرية عند **هبرماس** على الحجاج العقلي لا يمكن ان يتحقق إلا داخل فضاء عمومي تتوفر فيه ديمقراطية الاتصال والتواصل وهو ما ينطبق على الفضاء الرقمي في مجتمع ما بعد الحداثة.(**Ibid, p.145**) .

يعد الفضاء الرقمي تجسيدا فعليا لمفهوم **هابرماس** للفضاء الرقمي **Agora** وخاصة منها فضاء التدوين وتبادل الآراء والأفكار والنقاش، كما يتميز هذا الفضاء بتداخل العام بالخاص بالتالي تلاشي كل الحدود، لا فقط حدود المكان بل كذلك الجدود الثقافية والحدود الفاصلة بين العام والخاص، الفردي والجماعي...وهو ما يسهل عملية تشكيل الذات وفق اختيارات وإرادة المستخدم دون وجود لأي نوع من المعوقات.

إن تبديد الحواجز مهما ان كان مصدرها في الفضاء الرقمي والتنوع الثقافي الهائل وتغير العديد من المعايير والمفاهيم الثقافية، مكن من التحكم في الصورة والشكل الذي يستعمله الفاعل داخل هذا الفضاء بكل حرية مضاف اليها تطبيقات جد متطورة يعمل الفضاء الرقمي على تطويرها كل يوم وتحسينها لتكون في خدمة الفاعل الافتراضي.

إذن، تغير الفضاء التفاعلي من فضاء تقليدي تحكمه الأنساق والمحددات إلى فضاء حر ومنطلق تكرست فيه ديمقراطية الإبداع والتواصل والابتكار لإظهار ذات تواصلية قادرة على التأثير والتعبير بكل حرية، وأصبح بإمكان المستخدم لهذا الفضاء من تنويع المحتوى الاتصالي مثال إجراء المحادثات النصية والصوتية والمرئية والفورية، تبادل الصور، مقاطع الفيديو، مشاركة بالملفات ... وبالتالي ظهور نخب جديدة تتحكم في الرأي العام وتتحكم في بناء الرأي العام من خلال قدرتها على الإقناع والتأثير.

2.1 الفضاء الافتراضي مناخ تفاعلي:

إن البعد العلاقي بين الواقعي والافتراضي يبدو جد غامض بحيث يصعب الفصل بينهما، كما يصعب وضع الحدود متى يبتدئ الافتراض ومتى ينتهي الواقعي بحكم التداخل الشديد بينها في عملية التفاعل بين الأفراد والمجموعات، خاصة مع وجود شكل جديد من التالف على شبكات التواصل الاجتماعي وخلق نموذج جديد للهوية والذات الفاعلة على شبكات التواصل الاجتماعي يختلف عما هو موجود في الواقع.

هذه العلاقة تدفعنا الى طرح عديد الأسئلة؛ إلى مدى تساهم وسائل في تغيير النظرة للانا وللآخر؟ ما هو تأثير المعالم البنائية في العالم الافتراضي على تمثل الذات؟ كيف يمكن تحليل أنماط التبادل بين الفاعلين في هذه البيئة الافتراضية؟ ما هي القاعدة الأساسية للتفاعل على مواقع الشبكات الاجتماعية؛ تقديم أكثر ما يمكن من معلومات عن الذات؟ تجميل الذات وتحسينها؟أو المجهولية التامة؟

إن بناء المساحات الافتراضية يشبه كثيرا بناء المساحات المادية الحقيقية مضاف إليها صفة الإبداع والتنوع التي توفرها وسائط متعددة كالصورة والصوت والعلامات والرموز... وهو ما يجعل الفاعل في هذا الفضاء يبني صورة عن ذاته وفق خياراته وإرادته، كما أن الفضاء الافتراضي يتميز عن الفضاء المادي باللامحدودية وبالتفاعل الحر، غير مقيد بالزامات المكان أو قيود الزمان او اكراهات الواقع المادي من قوانين وضوابط أخلاقية واجتماعية وهو ما يسهل عملية إظهار الذات والدخول في عملية التفاعل بكل حرية وتجرد عم ما هو واقعي.

من هنا تنطلق مسالة إعادة النظر في مفهوم الذات وكيفية إظهارها ودخولها في علاقة تفاعلية مع الآخر، إذ أن عملية تمثل الذات في مواقع التواصل الاجتماعي ترتكز أساسا على الصورة، الصور العلامات والرموز التي يستخدمها الفاعل في إظهار ذاته قد تكون مطابقة للواقع أو مضاف إليها بعض التحسينات كما يمكن أن تكون مختلفة تماما عن ما هو واقعي.

فيكون بناء الذات في الفضاء الافتراضي متأرجح بين ما هو واقعي وما هم مأمول، باعتبار ان الحضور الجسدي للفاعل الاجتماعي في الواقع قد يغير من عملية التفاعل كما بينها عالم الاجتماع الامريكي (**قفمان**) الذي يرى أن التفاعلات البشرية تحدث بطريقة تعتمد على التوقعات الشرطية حسب وضع التفاعل، وهي تؤثر في اتصال الفرد المشارك في التفاعل المتبادل و التي ترتكز على جملة من الطقوس والمعايير يحددها واقع الأفراد والمواقع التي يتخذونها في عملية التفاعل(**E. Goffan, , 1974, pp .186-230**).[2] لكن في الفضاء الافتراضي تغيب لغة الجسد وتحضر لغة الرموز والصور والعلامات.

في الفضاء الافتراضي يغيب الجسد ليصبح التركيز أكثر على اهتمامات الشخص، على أفكاره ومواقفه من خلال طريقة عرضها على الفضاء الافتراضي. فالفاعل الاجتماعي يجد نفسه أمام عدد غير محدود من المتفاعلين معه وعليه أن يأخذ بعين الاعتبار هذا التنوع والحضور لا بأس به من المتابعين إلى آرائه وأفكاره وكل ما يقوم بنشره أو تدوينه لذلك يعمل على إظهار ذاته بالشاكلة التي يريد وكأننا به يبحث أكثر ما يمكن من اعتراف الآخرين.

هناك إذن نزوع إلى الفردانية أو الانعزال عن السياق الاجتماعي المحيط للفرد والانغماس في عالم موازي وهو ما جعل الفرد يتفاعل انطلاقا من كونه **فردا** مستقلا عن كل المحددات الاجتماعية والثقافية ...يتصرف الفاعل انطلاقا من تحرره من كل الخلفيات الدينية او السياسية.

في هذا السياق تظهر الذات الافتراضية على الشاكلة التي يتأملها المستخدم وتتأرجح بين ما هو كائن وما يأمل ان يكون، كيف يمكن تعريف الذات الافتراضية؟

كيف تنشا الذات الافتراضية؟

شكلت الذات محور اهتمام دراسات علم النفس الاجتماعي والإنساني لكونه يشكل البناء الأساسي الذي يرى فيه الإنسان نفسه عند تفاعله مع الآخرين وكيف ينظر إلى نفسه بوصفه شخصا فريدا بمعزل عنهم.

ونجد من بين هؤلاء عالم النفس**Lewis,1990,p.90**)(الذي عالج كيفية بناء الذات لدى الأفراد وتعريف أنوعها ومكوناتها وبين انه في هذا السياق أن مفهوم الذات يتطور من خلال جانبين هما؛

الذات الوجودية، وهو الجزء الأكثر أهمية وهو عبارة عن إحساس الفرد الوجودي بأنه كائن منفصل ومتميز عن الآخرين والوعي بالأنساق والثبات الذاتي(إدراك الفرد باتساق سماته وخصائصه الشخصية عبر الزمن وهي خاصية تبدأ منذ مرحلة الطفولة)[3]

كل هذه المسائل تدعونا للبحث والكشف عن خصائصها باعتبارها أصبحت من سمات العصر الحديث الذي يختص به المجتمع الشبكي مجتمع ما بعد الحداثة.

الذات الفئوية، تختلف عن الذات الوجودية لدى القرد، فبينما يدرك الطفل وجوده في الذات السابقة بوصفه كيان منفصل عن الآخرين فان الطفل يصبح واعيا بمرور الوقت بانه جزء من هذا العالم كفئة تنتمي الى مجموعة ما. يظهر هذا الانتماء نتيجة اتسامه بمجموعة من الخصائص والصفات، لذلك يضع كل فرد ذاته في أصناف وفئات تتسم حسب الجندر أو الحجم أو العمر...

كما انه، وفي نفس هذا الإطار، أشار عالم النفس **(Carol ,1959,p.102)** إلى أن مفهوم الذات له ثلاثة مكونات مختلفة[4]:

1. **وجهة نظر الفرد حول ذاته (صورة الذات)**
2. **القيمة التي يضعها الفرد لنفسه (تقدير الذات)**
3. **ما يكن أن يكون عليه الفرد (الذات المثالية)**

عبر هذه المكونات الثلاث تتأرجح الذات وتبحث عن سد الفجوة بين ما هو كائن وما هو مأمول، ولعل وجود الفضاء الافتراضي في حياة الفرد في مجتمع ما بعد الحداثة قد مهد الارضية للمستخدم لتشكيل ذاته المرجوة. فقد ساعد الفضاء الافتراضي على مزيد اثراء العاصر التي يأمل الفرد أن يشكل بها ذاته التي يتمثلها في عملية التواصل والتفاعل مع الاخرين. باعتبار أن لكل فرد تصور معين عن ذاته، مثل إدراك الفرد بانه شخص اجتماعي، او مؤثر أو خجول أو مغامر...وغيرها، ولكن ليس من الضروري ان يعكس هذا التصور الواقع الفعلي لحقيقة الذات.

هناك علاقة عميقة بين الصورة والذات والانا المثالية، في كل الحالات يتبن ان الادوار الاجتماعية تلعب دورا هاما في بناء الصورة عن الذات، اما في الفضاء الافتراضي يختفي الحضور الجسدي وبالتالي يكمن تطويع الصورة عن الذات وفق اختيارات التي يرتئيها المستخدم.

2. الطريقة المنهجية" كيف نبحث الظاهرة الرقمية في عالم افتراضي"

عندما أصبحت مختلف الممارسات والتفاعلات بين الإفراد والمجموعات تدار داخل مجتمع شبكي يتخذ من المنصات الإلكترونية والواقع الافتراضية فضاء للتواصل والتبادل انه أصبح من الضروري اعتماد مناهج ببحت تتماشى مع خاصيات هذا الفضاء لذا اعتمد علماء الاجتماع والباحثين في هذا منذ السنوات التسعين طرق منهجية جديدة تتماشى مع الظواهر محل الدرس.

1.2: أثنوجرافيا الواب

إن الطريقة المنهجية الأكثر اعتمادا لدراسة ظاهر المجتمع الافتراضي هي طريقة الأثنوجرافيا الرقمية وهي لا تختلف عن الأثنوجرافيا الكلاسيكية التي اعتمدت في مجال الأنثروبولوجيا وهي من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثروبولوجيا عندما قام الأوروبيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا وإفريقيا واستراليا واسيا، حيث وصفو أدواتهم وعادتهم وتقاليدهم وكل ما يتصل بثقافتهم المادية المختلفة.

ومنذ منتصف القرن العشرية اتخذها علماء الاجتماع كطريقة مثلى خاصة لدى رواد مدرسة (CHIKAGO) (Jean ,Eric, 2016, p. 119)الأمريكية لدراسة مختلف الثقافات وتعتمد على

أداة الملاحظة والوصف في عملية رصد الظاهر وتحليلها من خلال الإلمام أكثر ما يمكن من معلومات حول الظاهرة محل الدرس.

وتتميز هذه المقاربة المنهجية بانخراط الباحث في عملية التفاعل حتى يتسنى له ملاحظة وتحليل مختلف الممارسات عن كثب داخل الفضاء الذي يمثل مسرح التبادل بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين، وهي طرقة تعتمد المنهج الوصفي كمقاربة والملاحظة بالمشاركة كأداة لوصف حياة الأفراد والمجموعات من خلال رصد التفاعلات والأنماط الثقافية للسلوك البشري خلال فترة زمنية معينة.ترتكز هذه المقاربة المنهجية على أهم جزئيات وتفاصيل الحياة الاجتماعية لمجموعة الأفراد محل الدرس.

أما في الفضاء الافتراضي فإنها تعتمد أكثر على ***التفاعلات اللغوية والرمزية*** باعتبار غياب الحضور الجسدي في هذا الفضاء وحضور التبادل اللغوي والرمزي فيهتم الباحث أكثر برصد التفاعلات على المستوى الأفكار والآراء والنقاشات اعتمادا على الصور ومقاطع الفيديو لإثراء النقاش، أو كذلك الرموز والتطبيقات التي توفرها المنصات الإلكترونية للمستخدم لمزيد إثراء التفاعل.

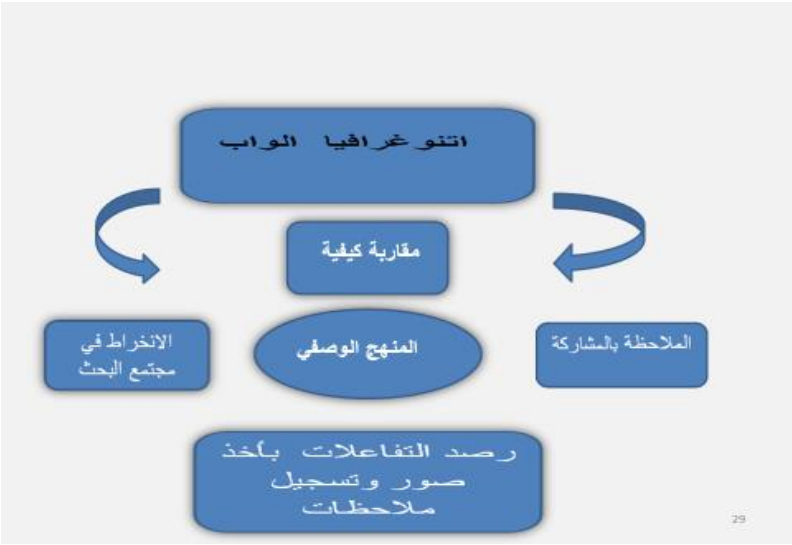

مخطط رقم(1)

مميزات أثنوجرافيا الواب

2.2 خاصيات المنهج الاثنوجرافي في الفضاء الرقمي :

يعتمد الباحث في هذا المجال على الوصف والتحليل استخدام الكلمة والعبارة والرموز والمعاني التي تحملها. ومن أهم خاصيات هذا المنهج كذلك البحث في الغير المكشوف والظاهر من خلال فك الرموز وتحليل المعاني الخفية والضمنية لجملة التفاعلات.

أما الأداة المستخدمة فهي الانخراط الكلي في عملية الدردشة والحوارات المتبادلة على الفضاء الافتراضي وذلك بتسجيل المحادثات والتفاعلات من ثمة تبويبها وتصنيفها وفق معايير معينة يتخذها الباحث كمرجعية لاستخراج النتائج البحث الذي يقوم به.

قمنا إذا في هذا الصدد بتطبيق هذه المنهجية في فهم عميلة تمثل الذات في مواقع التواصل الاجتماعي بملاحظة عملية استعراض الذات والتفاعل من خلال وضعيات مختلفة ولذك لمدة 30 يوما متتالية مكنتنا من معرفة توجهاتهم وأرائهم حول المسائل المثارة وذلك في علاقة بالهوية التي يستخدمونها في عملية التفاعل.

3- نتائج البحث الاستكشافي: سياق التفاعلات الافتراضية

سوف نبحث في هذا الجزء من العمل الطريقة التي تنسج بها مختلف التفاعلات بين الفاعلين في الفضاء الرقمي وفهم سياق هذه التفاعلات «l'ordre des interactions» كما يعبر عن ذلك **Goffman**، وتتجسد هذه التفاعلات وفق ما لاحظناه مدة البحث في أشكالا مختلفة حسب المحتوى موضوع التفاعل (صورة، نص، مقطع فيديو، خبر، تدوينة..) فنجد ان التفاعلات على نفس المحتوى تختلف من تفاعلات(ايجابية، سلبية عدم المبالاة ، السخرية ، التهكم أو الشتم والسباب، علامات الإعجاب ومزيد نشر المحتوى، الاستغراب... ويتم التعبير عن ذلك بمختلف الطرق من التدوين إلى استعمال الرموز والعلامات التي يوفرها المنصة الإلكترونية والتي تحمل عادة تعبيرات الوجه ؛

أولا: وصف وتحليل التفاعلات على الصفحات الأكثر صدى

من خلال متابعتنا لأهم التفاعلات الحاصلة في شبكة التواصل فيسبوك لمدة ثلاثين يوما امتدت من 15 **فيفير إلى 15 أفريل 2019** وباعتمادنا الطريقة الاثنوجرافية تمكنا من رصد الملاحظات الآتية:

اهتمامنا بأهم الإحداث التي شدت انتباه الفاعلين على شبكة التواصل الاجتماعي فايسبوك خلال هذه الفترة سواء على مستوى محلي اخترنا صفحة " ***وزير الضغط والسكر***" باعتبارها الصفحة التي شهدت أكثر التفاعلات تزامنا والأحداث التي وقعت خلال فترة مراقبتنا حيث سجلت هذه الصفحة قرابة(500 ألف مشاهدة في اقل من ربع ساعة مشاهدة وقرابة 300 ألف تفاعل بمختلف أشكاله،) وذلك عندما قامت هذه الصفحة بنشر فيديو يتعلق باجتماع احد المرشحين للانتخابات في أحد المدن التونسية حيث وقع التهجم على هذا الاجتماع وقامت هذه الصفحة بنشر الفيديو بصفة أنية.

توصلنا إلى رصد الملاحظات التالية؛

- اختلفت ردود الفعل على هذا الخبر بين التعاطف والاستنكار، الشماتة والتهكم، السخرية...وذلك اختلاف الفاعلين سوءا من خلال متغير الجنس الذي بدا فاعلا بشدة في هذه المسألة (النساء الأكثر استنكارا وتعاطفا للحدث).

مثال عن التعليقات على الحدث

(31 مارس 2019)

- أغلب التفاعلات التي طغى عليها التهكم والشتم والسخرية فكانت من فئة الرجال أو من مجهولي الهوية

- ما تم ملاحظته أن طريقة المتسمة بردود عنيفة واستعمال عبرات الشتم والتهم يكون أصحابها في الأغلب من الدين يستعملون هويات زائفة كأن تكون تحت أسماء جمعيات كروية أو أسماء رمزية، مثال على ذلك؛

ولاستكشاف معالم هوية هؤلاء تبين اغلبهم لا يدلون بمعطيات شخصية ولا يقومون ينشر صورهم ويكون مجموع أصدقائهم قليل مقارنة بمن يستعملون هويات واضحة ويدونون كل المعطيات التي تخصهم وهي في الأغلب المعطيات التالية (الاسم واللقب، الجنس، المهنة، الشهادة العلمية، الجهة، وفي بعض الأحيان مضاف إليها الخلفية السياسية، الخلفية الثقافية، الخلفية الدينية، الحالة المدينة، الهوايات...

موقع فايسبوك تاريخ الزيارة(12 مارس 2019)

أما على المستوى العالمي فقد تم رصد في نفس الفترات وتزامنا مع الأحداث الإرهابية في(**نيوزلادا**) خلال شهر مارس تفاعل هائل مع الحدث الذي تولته صفحة برنامج تلفي يبث على القناة الفرنسية **TF1** الذي مسالة تعمد موقع فايسبوك نشر الأحداث الإرهابية لمدة ***17 دقيقة*** دون أن يقع حجب الفيديو فنجد أن اغلب المتفاعلين في الصفحة يتنكرون تعامل فايسبوك نشر معطيات الأشخاص وبيع المعطيات الشخصية لبعض الجهات لكنهم في ذات الوقت لا يستطيعون التخلي على الموقع ويرون فيه الفضاء الأكثر حرية للتعبير والمشاركة.

موقع فايس بوك (تاريخ الزيارة 18 مارس)

ثانيا: رصد مختلف أشكال الهويات المستخدمة

تم رصد ملامح مختلف الهويات المتواجدة في الفضاء الافتراضي وفق:

- ما يتم نشره من معطيات حول حياتهم الشخصية
- مدى تداول هذه المعطيات،
- بمعدل كم من مرة في اليوم أو الأسبوع يقع النشر أو التدوين،
- مع من يتم نشر هذه المعطيات هل هي للعموم أم مقتصرة على مجموعة من الإفراد بعينها؟

في مرحلة ثانية وباعتماد نفس المنهج الاتنوغرافي تم رصد ملامح مختلف الهويات المتواجدة في الفضاء الافتراضي ودلك بملاحظة كل ما ينشرونه من معطيات حول حياتهم الشخصية ومدى تداول هده المعطيات ، المدة الزمنية بمعدل كم من مرة في اليوم أو الأسبوع، مع من يتم نشر هده المعطيات هل هي للعموم أم مقترة على مجموعة من الإفراد بعينها، لتمكن من تحديد ثلاث أنواع في المجل من الهويات المستخدمة في شبكة التواصل الاجتماعي والتي يمكن تلخيصها من خلال **الذات المتخيلة** أو المأمولة التي يسعى الفاعل إلى تحقيقها من خلال عملية التجميل وتنويع ملامحه أو تقليص الفجوة بين الذات الحقيقية

والذات المأمولة في الفضاء الافتراضي : يمكن تخليص ملامح الهويات الأكثر استعمالا في الخاصيات التالية؛

مخطط رقم (2)

نتائج الدراسة الاستكشافية

أما بصفة عامة فان أكثر الأشكال المستخدمة في الفضاء الرقمي تحوم حول هوية ابتدعها المستخدم وفق خيارات وفرتها له متلف التطبيقات والوسائط المتعددة التي توفرها المنصات الإلكترونية وهي في الأصل تعكس خلفيات ثقافية معينة، إذ أشار الباحث الفرنسي Cardon أن اغلب الحسابات المفتوحة على شبكة التواصل الاجتماعي فايسبوك تحوم حول الأشكال الخمسة التالية من الهوية:

1. الهوية الثنائية
2. الهوية المتعددة
3. الهوية الزائفة
4. الهوية الكثيرة النشاط المدونة
5. الهوية المنفتحة

كما يمكن تلخيص هذه النماذج في نوعين يبرزان اكثر الصفات المستعملة في شبكة التواصل الاجتماعي فايسبوك؛

النوع الاول: الهوية المحورية

المخطط رقم(2)

نتائج البحث الاستكشافي

النوع الثاني: الهوية المحورية

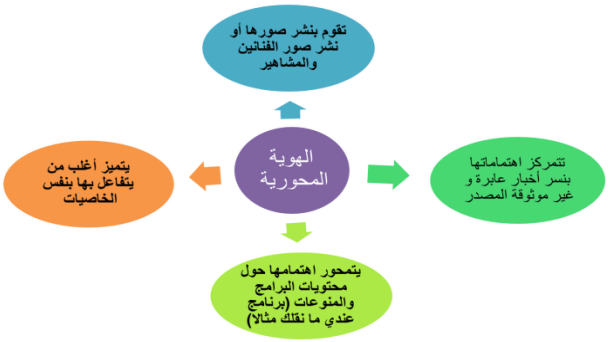

المخطط رقم(3) نتائج البحث الاستكشافي

بصفة عامة فان الهويات التي تقوم بتدوين كل المعطيات التي تخصها وتقوم بنشر الصور والأخبار بصفة دائمة يفوق عدد أصدقائها بكثير أي أنها هوية تسعى إلي تكثيف رأس مالها الاجتماعي عدد أصدقاء الهويات القليلة الظهور والمتخفية.

تبقى الذات في الفضاء الرقمي تتأرجح بين البحث عن اعتراف الآخرين من خلال تدوينتاها ونشر صورها بحثا عن أكثر عددا من المتابعين، وبين الرغبة في التخفي والهروب من الواقع.

REFERENCES BIBLIOGRAPHIQUES

1. **AKOUN André**. (1998), l'imaginaire et le réel dans la communication en face à face et dans les relations virtuelles, sociétés, 59 :5-9
2. **ALLARD LAURENCE ET FREDERIC VANDENBERCHE(2003),** Express,yourself ,les pages perso. Entre légitimité techno politique de l'individualisme expressif et authenticité réflexive Peer to Peer, »Réseaux, n°117, p.191-219.
3. **CARDONDominique**(2010), la démocratie internet. Promesses et limites, Paris, seuil, coll. République des idées.
4. **CARDON dominique et Hélène Dlaunay Teterrel(2006), « la** production de soi comme technique relationnelle. un essai de typologie des blogs par leurs publics », réseaux, n°138 ; p.15-71.
5. **GOFFMAN Erving. (1973),** la mise en scène de la vie quotidienne. Tome 2 : la présentation de soi, Paris, Minuit.P.23
6. **GROSSETTI Michel(2004),** Que font les réseaux sociaux aux réseaux sociaux ? réseaux personnels et nouveaux moyens de communication », Réseaux, n°184-185, p.187-209.
7. **FANNY Georges(2009), «** Représentation de soi et identité numérique, une approche sémiotique et quantitative de l'emprise culturelle du web 2.0 », réseaux n°154, p.165-193**, https://www.carin.infoLrevue-reseaux-2009-page-165.htm.** Consulté 23/02/2019.
8. **HABERMAS (Jürgen)**, L'espace public. Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, Paris, Payot, réed. 1988
9. **GRANJION Fabien ET JULIEDNOUEL(2010**), « Exposition de soi et reconnaissance de singularités subjectives sur les sites de réseaux sociaux », sociologie ; vol.1 ; n°1, p. 23-43.
10. **HABERMAS Jurgen(1987),** Théorie del'agir communicationnel, paris fayard, coll. « l'espace du politique ».
11. **JEAN – SAMUEL BEUSCART ERIC DAGIRAL SYLVIAN PARASIE(2016),** sociologie d'internet, Paris, Armon Colin, Cursus sociologie, p. 119-149.

12. **KAUFMANN Jan claud(2004),** l'invention de soi. Une théorie de l'identité, Paris, Armand Colin.
13. **MADELEINE Pastinelli (2011)** « Pour en finir avec l'ethnographie du virtuel : des enjeux méthodologiques de l'enquête de terrain en ligne », Anthropologie et société , cyberespace et anthropologie , Volume 35,n° 1-2, Editeur, département d'anthropologie del'universitéLaval, www.erudit.org.
14. **MAIGRET Eric(2015),** sociologie des médias et de la communication, Paris, Armon olin.
15. **Mauss, Marcel. (1920).** Manuel d'ethnographie. Paris : Edition sociales.
16. **PROULX, serge (2004),** « Les communautés virtuelle construisent-elle du lien social » Colloque organisation média, dispositifs, médiatiques, sémiotiques et de médiations de l'organisation, Lyon, http://www.lcp.cnrs.fr/pdf/pro-04.pdf, consulté 25/03L2019.,

[1]، الفضاء السيبرني التونسي بعض المعطيات ،2019/03/19الوكالة الوطنية للسلامة المعلوماتية

[3]Lewis M. Les émotions liées à la conscience de soi. Dans: Tremblay RE, Boivin M, Peters RDeV, eds. Lewis M, éd. thème. Encyclopédie sur le développement des jeunes enfants [en ligne]. http://www.enfant-encyclopedie.com/emotions/selon-experts/les-emotions-liees-la-conscience-de-soi. Publié : Décembre 2011. Consulté le 20 juin 2019.
[4]Lewis M. Les émotions liées à la conscience de soi. Dans: Tremblay RE, Boivin M, Peters RDeV, eds. Lewis M, éd. thème. Encyclopédie sur le développement des jeunes enfants [en ligne]. http://www.enfant-encyclopedie.com/emotions/selon-experts/les-emotions-liees-la-conscience-de-soi. Publié : Décembre 2011. Consulté le 20 juin 2019.